@ 637 @ لا يدخل في الحساب . ! 2 2 ! فتيقنوا ذلك ، واجزموا به ، واعلموا أنه لا بد من وقوعه . فلما نزلت هذه الآيات ، التي فيها هذا الوعد ، صدق بها المسلمون ، وكفر بها المشركون ، حتى تراهن بعض المسلمين وبعض المشركين ، على مدة سنين عينوها . فلما جاء الأجل ، الذي ضربه ا ، انتصر الروم على الفرس ، وأجلوهم عن البلاد التي أخذوها منهم ، وتحقق وعد ا . وهذا من الأمور الغيبية ، التي أخبر بها ا قبل وقوعها ، ووجدت في زمان من أخبرهم ا بها ، من المسلمين والمشركين . ! 2 2 ! أن ما وعد ا به حق ، فلذلك يوجد فريق منهم يكذبون بوعده ، ويكذبون آياته . وهؤلاء الذي لا يعلمون ، أي : لا يعلمون بواطن الأشياء وعواقبها . وإنما ! 2 2 ! فينظرون إلى الأسباب ، ويجزمون بوقوع الأمر ، الذي في رأيهم ، انعقدت أسباب وجوده ، ويتيقنون عدم الأمر الذي لم يشاهدوا له من الأسباب المقتضية لوجوده ، شيئا فهم واقفون مع الأسباب ، غير ناظرين إلى مسببها ، المتصرف فيها 2 ! . 2 ! قد توجهت قلوبهم ، وأهواؤهم ، وإراداتهم ، إلى الدنيا وشهواتها ، وحطامها ، فعملت لها ، وسعت ، وأقبلت بها وأدبرت ، وغفلت عن الآخرة . فلا الجنة تشتاق إليها ، ولا النار تخافها ونخشاها ، ولا المقام بين يدي ا ولقائه ، ويروعها ويزعجها ، وهذا علامة الشقاء ، وعنوان الغفلة عن الآخرة . ومن العجب أن هذا القسم من الناس ، قد بلغت بكثير منهم ، الفطنة والذكاء في ظاهر الدنيا ، إلى أمر يحير العقول ، ويدهش الألباب . وأظهروا من العجائب الذرية ، والكهربائية ، والمراكب البرية والبحرية ، والهوائية ، ما فاقوا به وبرزوا ، وأعجبوا بعقولهم ، ورأوا غيرهم عاجزا عما أقدرهم ا عليه . فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء ، وهم مع ذلك ، أبلد الناس في أمر دينهم ، وأشدهم غفلة عن آخرتهم ، وأقلهم معرفة بالعواقب . قد رآهم أهل البصائر النافذة ، في جهلهم يتخبطون ، وفي ضلالهم يعمهون ، وفي باطلهم يترددون . نسوا ا ، فأساهم أنفسهم ، أولئك هم الفاسقون . ولو نظروا إلى ما أعطاهم ا وأقدرهم عليه ، من الأفكار الدقيقة في الدنيا وظاهرها ، وما حرموا من العقل العالي ، لعرفوا أن الأمر ، والحكم له في عباده ، وإن هو إلا توفيقه أو خذلانه ، ولخافوا ربهم وسألوه أن يتم لهم ما وهبهم ، من نور العقول والإيمان ، حتى يصلوا إليه ، ويحلوا بساحته . وهذه الأمور لو قارنها الإيمان ، وبنيت عليه ، لأثمرت الرقي العالي ، والحياة الطيبة . ولكنها لما بنى كثير منها على الإلحاد ، لم تثمر إلا هبوط الأخلاق ، وأسباب الفناء والتدبير . ^ (أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق ا السماوات والأرض وما بينهمآ إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقآء ربهم لكافرون * أولم

يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروهآ أكثر مما عمروها وجآءتهم رسلهم بالبينات فما كان ا ليظلمهم ول كن كانوا أنفسهم يظلمون * ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى أن كذبوا بآيات ا وكانوا بها يستهزئون) ^ أي : أفلم يتفكر هؤلاء المكذبون لرسل ا ولقائه ! 2 2 ! . فإن في أنفسهم ، آيات يعرفون بها ، أن الذي أوجدهم من العدم ، سيعيدهم بعد ذلك ، وأن الذي نقلهم أطوارا من نطفة إلى علقة ، إلى مضغة ، إلى آدمي ، قد نفخ فيه الروح ، إلى طفل ، إلى شاب ، إلى شيخ ، إلى هرم ، غير لائق أن يتركهم سدى مهملين ، لا ينهون ولا يؤمرون ، ولا يثابون ولا يعاقبون . ^ (ما خلق ا السموات والأرض إلا بالحق) ^ أي : ليبلوكم أيكم أحسن عملا . ! 2 2 ! أي : مؤقت بقاؤهما إلى أجل تنقضي به الدنيا ، وتقوم القيامة ، وتبدل الأرض غير الأرض والسموات . ! 2 2 ! فلذلك لم يستعدوا للقائه ، ولم يصدقوا رسله التي أخبرت به ، وهذا الكفر عن غير دليل . بل الأدلة القاطعة ، دلت على البعث والجزاء .